رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

«هل أنت مستعد ليوم الدينونة؟» (رومية ٢: ١-١٦)

تأليف: دفيد روبر

هناك ترنيمة إنجليزية قديمة تقول:

هناك يوم عظيم آتي،
يوم عظيم آتي،
هناك يوم عظيم آتي للجميع؛
عندما يُفصل بين القديسين والخطاة يميناً ويساراً،
هل أنت مستعداً لمجيء ذلك اليوم؟
هل أنت مستعد؟ هل أنت مستعد؟
هل أنت مستعد ليوم الدينونة؟

قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلكَ الدَّيْنُونَةُ» (عبرانيين ٩: ٢٧). قال بولس لفلاسفة أثينا أن الله «أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ ...» (أعمال ١٧: ٣١). وكتب أنه «لأَنَّهُ لابُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ ...» (٢ كورنثوس ٥: ١٠). يمر التاريخ بثبات نحو ذلك اليوم العظيم عندما يُعطى العدل للجميع ويتم تصحيح جميع الأخطاء. هل أنت مستعد لذلك اليوم؟

يتركز هذا الدرس على الجزء الأول من الأصحاح الثاني من الرسالة إلى أهل رومية. حول بولس انتباهه في هذا الأصحاح إلى اليهود ليبين انهم مثل الأمم ضالين في خطاياهم. دار حديثه في الآيات الست عشرة الأولى حول الفكرة الرئيسية عن الدينونة الآتية. ويخبر الأصحاح الأول عن غضب الله المعلن لغير الأتقياء (١: ١٨)، والأصحاح الثاني يضع التوكيد على الغضب الآتي (٢: ٥) – في «الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢: ١٦). عندما ندرس النص الذي نحن بصدده سنكتشف مباديء أساسية لدينونة الله.

لا يمكن تجنب الدينونة (٢: ١- ٥)

سيدين الله الذين يدينون (الآيات ١-٣)

لقد درسنا الآيات من ١ إلى ٣ في الدرس السابق، حيث قلنا أن اليهود كانوا يدينون الأمم بينما كانوا هم أنفسهم يرتكبون أنواع تلك الخطايا نفسها (راجع الآيتين ٢١ و٢٢)، لهذا قال بولس: «... أَنْتَ بِلاَ عُذْرٍ أَيُّهَا الإِنْسَانُ، كُلُّ مَنْ يَدِينُ. لأَنَّكَ فِي مَا تَدِينُ غَيْرَكَ تَحْكُمُ عَلَى نَفْسِكَ. لأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ تَفْعَلُ تِلْكَ الأُمُورَ بِعَيْنِهَا!» (آية ١). من السهل رؤية الخطيئة في حياة شخص آخر ولكن من الصعب أن يراها الشخص في نفسه!

قال بولس بعد ها: «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ دَيْنُونَةَ الله هِيَ حَسَبُ الْحَقِّ عَلَى الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ» (الآية ٢)[1]. كتب دي ستوارد بريسكو انه يمكننا أن نضمن محاكمة عادلة:

> أن دينونة الله ذات صلة بالحقيقة في المقام الاول، وبان الله نفسه هو صادق ولن ينحاز أبداً، وثانياً سيكون الدليل شيء حقيقي، وبهذا لن تكون هناك عدم العدل في المحاكمة ... ولا تكون هناك أخطاء، بل سيسير الكل بموجب الحق.

أصر بولس قائلاً: «أَفَتَظُنُّ هذَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تَدِينُ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ، وَأَنْتَ تَفْعَلُهَا، أَنَّكَ تَنْجُو مِنْ دَيْنُونَةِ الله؟» (آية ٣). يظن البعض أن بولس كان يضع التباين بين دينونة البشر غير المعصومة ودينونة

[1] استخدم بولس عبارة «نحن نعلم» اعتقاداً منه أن معظم الذين كتب إليهم، إن لم يكن جميعهم، يوافقون على هذا الكلام.

الله المعصومة. سواء كان الأمر هكذا أم لا، إلا أن الإجابة للسؤال الذي طرحه بولس واضحة، ألا وهي: لا ينجو أحد من دينونة الله.

سيدين الله من لا يتوب (الآيتان ٤ و٥)

استمر بولس في التهمة في الآية ٤: «أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟» ذكر لليهود «غِنى» «لطف» الله نحوهم. عند تتميم الله عهده مع اليهود باركهم ببركات روحية ومادية كثيرة. وفي الوقت نفسه، «أمهل» إخفاقاتهم وتعامل معها «بطول أناة» لكي يتمموا العهد معه.

بدلاً من أن يعاقب الله الشعب اليهودي حالاً وعلى الفور بسبب خطاياهم، أعطاهم وقتاً وفرصة متمنياً أن لطفه سيقودهم إلى «توبة». ولكن للأسف، اعتبروا لطف الله كعلامة منه بانه تغاضى عن خطاياهم لأنهم شعبه الذي تعهد معه. بدلاً من أن يتوبوا أصبحوا غير تائبين أكثر فأكثر.

من السهل الوقوع في الفخ الذي وقع فيه اليهود. ربما يغش الشخص في الضرائب أو يضحك على نكتة عن العنصرية أو يغمغم بشتيمة ... أو يشتهي زوجة رجل آخر[٢]. يفعل هذه الأشياء ولا شيء يحدث له. لا يضربه الله حالاً. ولا تنزل عليه صاعقة من السماء. فمن السهل له أن يظن بانه «لن يتعرض لعواقب وخيمة» وبان الكل على ما يرام بينه وبين الله.

بذلك كان بولس ينذرنا جميعنا ألا نخلط بين قدرة الله على الاحتمال وبين قبوله لشيء. السبب الذي من أجله نحن ما زلنا أحياء هو لأن الله يعطينا فرصة للتوبة (راجع ٢ بطرس ٣: ٩). أرجو أن نحترس ألا نستخف بلطف الله (رومية ٢: ٤). بل لنسمح لتعابير الله عن محبته تحثنا على التوبة!

ماذا كانت العاقبة عندما استغل اليهود لطف الله؟ قال لهم بولس: «وَلكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ، تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ» (الآية ٥). بدأ هذا الدرس ببيت واحد من ترنيمة إنكليزية بعنوان «There's a Great Day Coming» أي «هناك يوم عظيم آتي». ورد بالمقطع الأخير لهذه الترنيمة الكلمات التاليه:

هناك يوم حزين قادم،
يوم حزين قادم،
هناك يوم حزين قادم،
عندما يسمع الخاطيء مصيره،
«إبتعدوا عني، لا اعرفكم»،
هل أنت مستعد لمجيء ذلك اليوم؟

لا نعلم متى يأتي ذلك اليوم (متى ٢٤: ٣٦). نعلم فقط انه قادم – وبانه أقرب اليوم مما كان بالأمس!

ما الذي ينتظر غليظو القلب وغير التائبين؟ استخدم بولس مجاز ملفت للنظر عندما قال انهم كانوا يدخرون لأنفسهم غَضَبًا ليوم الغضب. الكلمة المترجمة إلى «يدخر» {في رومية ٢: ٥} لها صلة عادة بالمال. ادخار المال من أجل الحاجة في المستقبل. ولكن في هذه الحالة ما كان يدخره غير التائبين ليوم الغضب هو المزيد من الغضب. هناك تعبير بما يختص بالاعداد للمستقبل: «الادخار لليوم الممطر». ادخار الغضب ليوم الغضب قد يعادل تقريباً خزن برميل ماء كبير لليوم الممطر. لم يكن ما يفعل غير التائبين خطر فحسب، بل كان سخيف أيضاً!

سيدين الله كل شخص (الآية ٣)

لهذا فان الآيات الخمس الأولى من الرسالة الثانية إلى أهل رومية تعلن أن الله سيدين الذين يدينون (الآيات ١-٣) وغير التائبين (الآيتين ٤ و٥). أعلن بولس في الآيات التالية أن الرب سيدين «كل واحد» (الآية ٦)، «كل نفس إنسان» (الآية ٩) «كل من يفعل الصلاح» (آية ١٠)، اليهود والأمم على حد سواء (الآيتان ١٠ و١١). عندما يجلس يسوع على كرسي الدينونة سيجتمع «أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ» (متى ٢٥: ٣٢). «الأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا ... {ويدينهم} بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ» (رؤيا ٢٠: ١٢).

ما زال السؤال في رومية ٢: ٣ وثيق الصلة بايامنا

[٢] قدم الأمثلة التي تتناسب مع مجتمعك.

: «أَفَتَظُنُّ ... أَنَّكَ تَنْجُو مِنْ دَيْنُونَةِ الله؟» ينجو المذنب أحياناً من دينونة البشر. قد لا تُكتشف جرائمهم، أو ربما لا يقبض عليهم. وإذا ما أمسكوا قد يستطيعون دفع نفقات كبيرة للمحامين المحترفين الذين قد يبررونهم بسبب التقنيات. لا ينطبق أي من هذه الاحتمالات على دينونة الله. لن تكون هناك خطيئة لا يعرف عنها (عبرانيين ٤: ١٣)، ولا يغيب أي خاطيء في يوم الدينونة (رؤيا ٢٠: ١٢). ليست هناك «مخارج» في كلمة الله (راجع المزمور ١٨: ٣٠)، ولا يكون هناك مخرج من جهنم التي هي السجن الأبدي للمدانين (مرقس ٩: ٤٤؛ راجع لوقا ١٦: ٢٦).

يبدو أحياناً انه ليست هناك ضمانات في الحياة، وأما هذا فمضمون: سيكون هناك يوم دينونة ويحضره جميع الذين عاشوا على الاطلاق. سأكون هناك، وأنت أيضاً ستكون هناك. لا يمكن الهرب من الدينونة!

لن تكون الدينونة قابلة للجدل (٢: ٦-١١)

سيدين الله بحسب أعمالنا (الآيات ٦-٨)

ينقلنا هذا إلى الجزء الأكثر جدلاً في نص درسنا هذا: يؤكد بولس أن الدينونة ستكون بحسب أعمالنا. قال:

> {الله} سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِه. أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ، فَبِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ التَّحَزُّبِ، وَلاَ يُطَاوِعُونَ لِلْحَقِّ بَلْ يُطَاوِعُونَ لِلإِثْمِ، فَسَخَطٌ وَغَضَبٌ (الآيات ٦-٨).

فحص النص: يبدو هذا النص للوهلة الأولى واضحاً. لم يتم تعليم شيء جديد هنا لم يتم تعليمه في أماكن أخرى من الكتاب المقدس (على سبيل المثال، راجع إرميا ٣٢: ١٩؛ هوشع ١٢: ٢)، وحتى من قبل بولس نفسه (٢ كورنثوس ٥: ١٠). قبل ان نتحدث عن الجدل المحيط بهذا النص، لنفحصه أولاً.

بعد ما تحدث بولس عن «دينونة الله العادلة» (آية ٥)، قال بان الله «سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِه» (آية ٦). الكلمة المترجمة هنا إلى «أعمال» هي «إرغا ἔργα» وهي صيغة الجمع لكلمة «عمل» التي تشير بصفة عامة إلى أي شيء يفعله الإنسان. اقتبس بولس هنا من العهد القديم، ربما من المزمور ٦٢: ١٢[٣].

القول باننا سندان حسب أعمالنا هي فكرة رئيسية في كلا العهدين القديم والجديد. قال يسوع في العهد الجديد أنه عند مجيئه الثاني سوف «يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِه» (متى ١٦: ٢٧). كتب بولس قائلاً: «لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا» (٢ كورنثوس ٥: ١٠). في مشهد الدينونة الوارد في الأصحاح ٢٠ من سفر الرؤيا «دِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ» (الآية ١٢). قال شخص ما: «الأعمال مثلها مثل البذور، تغرسها الآن لتحصدها في وقت آخر».

في الآيتين ٧ و٨ وسع بولس المبدأ الأساسي الوارد في ٢: ٦. تحدث عن دينونة الله على ذوي الأعمال الصالحة: «أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ، {سيجازيهم الله بالحياة} الأَبَدِيَّة» (الآية ٧)[٤]. نوع الناس المذكورين هنا يطلبون ثلاثة أشياء: «المجد والكرامة والخلود». بما أن بولس قارن هؤلاء الأشخاص بمن يفكرون بمصلحتهم (راجع آية ٨)، ربما لم يقصد الذين يسعون وراء تعظيم النفس وكرامته، بل الذين يسعون إلى علاقة خاصة مع الله. يتوقون إلى رؤية بهاء الله («مجد»)؛ يريدون موافقة الله («كرامة»)؛ ويرغبون في حضور الله («خلود»؛ راجع يوحنا ١٧: ٣). يعرفون ما هو أهم حقاً.

مثل هؤلاء الناس لا يعملون الصلاح فحسب، بل يعملون الصلاح بالصبر. الكلمة المترجمة هنا إلى «صبر» هي من كلمة يونانية مركبة («هوپومون ὑπομονή») وتشير إلى المثابرة حتى عندما يكون الشخص تحت الضغط. قد تستخدم هذه الكلمة

---

[٣] يقول المزمور ٦٢: ١٢ الشيء نفسه ولكن بصيغة السؤال.

[٤] تحتوي كل من الآيتين ٧ و٨ على «الحذف». وهذا يعني انه لا بد للقاريء أن يدخل كلمة لتكميل المعنى، وفي هذه الحالة لا بد من إدخال الفكرة بان «الله سيجازي» الواردة في الآيتين ٧ و٨).

للإشارة الجندي الذي عندما يكون في مواجهة القتال الشديد «... لا يرتعب بسبب الضربات التي يتلقاها، بل يقاتل حتى النهاية»[٥].

تحدث بولس بعد ذلك عن أصحاب الأعمال الشريرة: «وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ التَّحَزُّبِ، وَلاَ يُطَاوِعُونَ لِلْحَقِّ بَلْ يُطَاوِعُونَ لِلإِثْمِ، {فيجازيهم الله بسخط} وَغَضَبٌ» (آية ٨). تم وصف هؤلاء الأشخاص المتمردين أولاً بانهم «أهل التحزب». ترجمت هذه العبارة من كلمة «إثيا ἐριθεία»، وأصبحت هذه الكلمة تشير إلى «الذين يحطون من أنفسهم من أجل ربح ... الفكرة هي الأنانية التي لا تنظر إلى أشياء أسمى {من النفس}». استخدم ارسطو {أحد أعظم فلاسفة اليونان} كلمة «انتقاد السياسيين الذين يطلبون المناصب من أجل ربح شخصي بدلاً من الصالح العام».

أهل التحزب هؤلاء «... لاَ يُطَاوِعُونَ لِلْحَقِّ {كما ورد في كلمة الله} بَلْ يُطَاوِعُونَ لِلإِثْمِ ...» (الآية ٨). وصفهم فيلبس في ترجمته بانهم «الذين يتمردون على خطة الله للحياة ولا يقبلون العمل بقوانينه» – هم «خدام الشر».

سيكون «جزائهم» سخط وغضب (الآية ٨). الكلمتان المترجمتان هنا إلى «غضب» («أورج ὀργή») و«سخط» («ثوموس θυμός») كلاهما كلمتان يونانيتان معناهما «سخط». تصف هاتان الكلمتان نوعين مختلفين من الغضب، ولكن تم الجمع بينهما في هذه الآية لتوضيح مدى غضب الله المشتعل على غير التائبين في اليوم الأخير. «مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!» (عبرانيين ١٠: ٣١).

في رومية ٢: ٧ و٨ أجرى بولس التباين بين نوعين من الناس. هدفهما مختلفين: أحدهما يطلب الله، بينما الآخر يهتم بنفسه فقط. هناك فرق بين عملهما: يعمل أحدهما الصلاح، بينما يعمل الآخر الشر. لهذا ستكون نهايتهما مختلفتين عن بعضهما: سينال أحدهما حياة أبدية، بينما ينال الآخر غضب الله وسخطه. لاحظ انه ليس هناك غير احتمالين، وليس هناك منطقة محايدة.

[٥] ليون موريس في تفسيره بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ١١٦.

انك في إحدى هاتين المجموعتين.

وضع التشديد على المشكلة: تبدو الآيات من ٦ إلى ٨ انها تعيد فقط الحقيقة التي تم تعليمها في نصوص مشابهة على صفحات الكتاب المقدس. ومع ذلك فان كلام بولس هنا مثير للجدل. يهتم هنا بصفة خاصة الذين يعلمون أننا «مخلصين بالإيمان فقط» وبانه لا علاقة للعمل بخلاصنا. إلى جانب ذلك، يقلق هذا النص المفسرين بصفة عامة لأنهم يدركون تمام الادراك أن بولس شدد على أننا غير مخلصين بأعمالنا («إرغا ἔργα»)، بل بالنعمة – على أساس الإيمان (على سبيل المثال، راجع رومية ٤: ١–٨؛ ١١: ٦).

يشعر معظم الذين يكرزون ويعلمون ويكتبون عن الكتاب المقدس بانهم مضطرين الى إجراء توافق بين كل ما قد يبدو كتناقض. ولكن يبدو أن الكُتَّاب الموحى إليهم لم يكونوا يهتمون كثيراً بمثل هذه الأمور. على سبيل المثال، كتب بولس في الأصحاحات ٨ إلى ١١ عن القضاء والقدر وتعبيرات أخرى عن مشيئة الله المطلقة. وفي الوقت نفسه، تبين هذه الرسالة إلى أهل رومية بوضوح أن بولس يؤمن بحرية الخيار للإنسان. عندما نصل إلى الأصحاح ٨ سنحتاج إلى جهد كبير لإدراك الفكرة بانه كيف يمكن لله أن يقدر المصير ويعرف المستقبل دون التدخل في حرية الإختيار التي يتمتع بها الإنسان. يبدو أن بولس لم يرى هناك الحاجة للربط بين هذين المفهومين. لقد قدم الحقيقة عن سيادة الله والحقيقة عن حرية الخيار للإنسان – ولم يقل المزيد عن ذلك.

مجهوداتنا «لإنسجام كل شيء» في الأسفار المقدسة تذكرني أحياناً بطفل يحاول حل لغز صعب. إذا لم يستطع ترتيب كل الأجزاء لتنسجم مع بعضها البعض، يصيبه الإحباط. يدق على القطعة لكي يجعلها «تنطبق» إذا لم تنطبق بسهولة في مكانها.

ينطبق هذا مجازياً أحياناً بما يختص بتعليم بولس عن الدينونة كما ورد في رومية ٢: ٦–٨: إذ يتلهف الكثير من الكتاب لأن يجعلوا هذه الآيات تطابق التعليم اللاحق في هذه الرسالة إلى أهل رومية يصرفون هذا النص الشديد اللهجة بشيء من العجل. يقول البعض أن هذا النص يشير فقط إلى الإدانة – ولكن يبدو أن

الآيتان ٧ و١٠ تتحدثان عن الخلاص بلا شك. يصر البعض أن «الأعمال» هي تلك التي عملها المسيحيون الأمناء ويكتفون بهذا القول - ولكن هذه الخلاصة تترك السؤال «كيف» بلا إجابة (على أي أساس) «نُدان بأعمالنا». آخرون أيضاً يصرون على أن ربط الأعمال بالخلاص ما هو إلا افتراض إذ انه ما من أحد أعماله كاملة. بهذه الكيفية يقول البعض أن هدف بولس هو أن يعطينا صورة لنظام تبرير مستحيل إذ يمكن لأحد أن يحفظ شريعة الله حفظاً كاملاً.

أني أعرف ما يقوله معظم هؤلاء، وأدرك أيضاً انه لا يستطع أحداً منا أن يفعل ما يكفي من الأعمال للحصول على الخلاص. ولكني أتساءل ما إذا كان بولس يتفكر بهذه الأهداف عندما قدم هذا التصور الحي ليوم الدينونة بمكافآتها وعقابهما.

عندما قال بولس للمسيحيين: «لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا» (٢ كورنثوس ٥: ١٠)، هل كان هدفه وصف نظام مستحيل للفداء؟ عندما قال المسيح لتلاميذه انه «يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِه» (متى ١٦: ٢٧)، هل كان يشير إلى الإدانة فقط؟ أشار داود إلى الله في النص المقتبس في متى ٢: ٦ «إلى مراحم الله» مما يدل على أنه من الممكن أن يحدث أشياء جيدة عندما يكافيء الله الإنسان «كَعَمَلِه» (المزمور ٦٢: ١٢).

لو كانت الآيات من ٤ إلى ١٠ قد وردت في مكان آخر من الكتاب المقدس، لكنا سنعتبر هذا النص بانه يشجع عمل الصلاح، وليس الشر. هل يحتمل أن هذا ما كان بولس يقصده في الأصحاح الثاني من الرسالة إلى أهل رومية؟ لقد اتهم اليهود قبل ذلك بانهم مذنبين بالخطايا نفسها التي كانت الأمم ترتكبها. بقوا بلا توبة بغض النظر عن ذنوبهم. ألم يكن من المعقول أن يقف ويقول: «إن لم تتوبوا وتعدلوا طريقة حياتكم ستواجهون دينونة الله العادلة! ولكنكم إذا غيرتم قلوبكم وحياتكم، ستكون الخيرات أمامكم، ولكنكم إذا استمريتم بالعصيان على الرب وعلى مشيئته، ستواجهكم أشياء عصيبة»؟

فحص الاحتمالات: ما زال الكثيرون منا يختبرون عدم الارتياح بسبب ما نظن انه توتر بين وجهتي النظر تلك. إذا كان الأمر هكذا، تأمل في يلي:

(١) قد يكون أهم ما يمكن قوله هو ان هناك أنواع مختلفة من «الأعمال» حتى عندما يتعلق الأمر بـ«عمل الصلاح». من ناحية ما، هناك أعمال البر الذاتي (راجع لوقا ١٨: ٩) والأعمال الخارجية التي تحجب الفساد الداخلي (راجع متى ٢٣: ٢٨). من الواضح أن الله لا يتعاطف مع مثل هذه الأعمال. ومن ناحية أخرى، هناك أعمال ناتجة من «إطاعة الإيمان» (رومية ١: ٥؛ ١٦: ٢٦). هذه تعابير عن إيماننا بيسوع المسيح. إذا كان بولس يقصد ما قاله عن أن فاعلي الصلاح ينالون حياة أبدية (٢: ٧)، فهذا يعني انه يقصد أعمال الإيمان. كتب ليون موريس أن الأعمال «هي تعبير خارجي عن أعماق الإنسان. بالنسبة للمؤمن هو تعبيير عن الإيمان ...».

(٢) كان بولس يضع التباين بين الذين يطلبون الله (الآية ٧) وبين الذين يسعون إلى إرضاء أنفسهم (الآية ٨). قال ان الأعمال الصالحة للذين يطلبون الله هي التي يتم مكافأتها (الآية ٧). يعتمد مثل هؤلاء الناس على الرب، وليس على النفس.

(٣) قارن بولس أيضاً بين إطاعة الحق وإطاعة الإثم (آية ٨). هناك علاقة قوية في الرسالة إلى أهل رومية بين فكرتي الإيمان والطاعة، كما قد وضعنا التوكيد على ذلك. كتب جي دي توماس ما يلي:

> كلمة «طاعة» كما وردت في الآية ٨ ... تضع التوكيد على انه لا يمكن أن يكون هناك خلاص بلا إطاعة مشيئة الله المعبر عنها. ولكنها تشمل أكثر من مجرد إطاعة قليل من الوصايا. انها تعني «الإصغاء بخضوع»، وهذا يشمل «التعهد الكامل»[٦].

الإيمان هو الذي يؤدي إلى «الخضوع الكامل».

(٤) اقرأ الآيات من ١ إلى ١٦ بحرص، سترى أن بولس لم يكن يهتم بـ«القيام بالأعمال الصالحة» فقط، بل كان يهتم أيضاً بالدوافع وراء هذه الأعمال. أشار

---

[٦] جي دي توماس في تفسيره بعنوان «Romans» من سلسلة «The Living Word Series»، صفحة ١٩.

إلى القلب في الآية ٥. تحدث عن «خفايا» الناس في الآية ١٦ – بما فيه أفكارهم ودوافعهم. قال جون مكارثر: «يخلق عمل الإنسان علامة مؤكدة في شخصه». (راجع متى ٧: ١٦ و٢٠).

(٥) أخيراً، نجد من المناسب دائماً أن نذكر أنفسنا انه لا ينبغي عزل أي نص من نصوص الكتاب المقدس. على ضوء النصوص الأخرى في الرسالة إلى أهل رومية وفي أماكن أخرى {من الكتاب المقدس} قد نفترض أن الأشرار المذكورين في الآيتين ٨ و٩ هم الذين لا يتوكلون على الرب ولا يقدموا حياتهم له. سيواجهون الله عند الدينونة بسجل كامل لخطاياهم. قد نعتقد أيضاً أن الذين يعملون الصلاح المذكورين في الآيتين ٧ و١٠ قد أطاعوا وصايا الرب وقبلوا نعمته. لقد غُسلت خطاياهم بدم يسوع المسيح (عبرانيين ٩: ١٥) سواء كانوا تحت العهد القديم أو العهد الجديد. لهذا يواجهون الدينونة بلا خوف.

عندما تحدث جي دي توماس عما ورد في رومية ٢: ٦، قال: «يكفي القول ... أن مكافأة المسيحي الأخيرة ستكون مشروطة بطريقة ما وإلى حدٍ ما بأعماله». وقال شخص آخر: «أعمالنا لا تخلصنا، ولا يمكن خلاصنا بدونها – لأن أعمالنا تعبر عن أيماننا {راجع يعقوب ٢: ١٨ و٢٠}». بهذه الكلمات سنترك إلى حين مسألة «دينونتنا بحسب أعمالنا».

لا تكون هناك إستثناءات (الآيات ٩ إلى ١١)

في الآيتين ٩ و١٠ كرر بولس (بترتيب عكسي) ما قد ورد في الآيتين ٧ و٨ – بإضافة بند هام. تحدث في الآية ٩ عن مصير الذين يفعلون الشر: «شِدَّةٌ وَضِيقٌ، عَلَى كُلِّ نَفْسِ إِنْسَانٍ يَفْعَلُ الشَّرَّ ...» (الآية ٩) تقول الآية ٨ أن («غَضَب» الله و«سخطه»). والآن تقول آية ٩ انه ستحل عليه «شدة وضيق».

الكلمة المترجمة «شدائد» (ثليبسيس) تعني «ضغط»، وهو الضغط الذي «يثقل الروح». «كلمة «شدة» وهي مأخوذة من كلمة مركبة (ستينوخوريا) والتي تعني «المكان الضيق». ولها علاقة بالضائقة التي تأتي للشخص من وجوده في مكان مغلق. وفي الجحيم يكون السخص مثل ما يكون بين المطرقة والسندان.

هل تكون هناك إستثناءات؟ كلا. قال بولس أن هذا العقاب سيكون «عَلَى كُلِّ نَفْسِ إِنْسَانٍ يَفْعَلُ الشَّرَّ». وكإثبات لهذا وسع بولس هذا التعليم بطريقة لم يتوقعها اليهود: «... الْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ الْيُونَانِيِّ» (الآية ٩). كان قد أعطيَ لليهود إمتيازات خاصة (راجع الآيات ١٧-٢٠)، ولكن ترفق الإمتيازات الخاصة مسؤوليات خاصة. ليس فقط أن اليهود «لا ينجون من دينونة الله» (الآية ٣)، بل سيكونون في أول الصف أمام عرش الله في يوم الدينونة!

بعد ذلك، رجع بولس إلى الذين يعملون الصلاح: «وَمَجْدٌ وَكَرَامَةٌ وَسَلاَمٌ لِكُلِّ مَنْ يَفْعَلُ الصَّلاَحَ ...» (الآية ١٠). في هذه الآية تشير كلمة «سلام» («إيرين εἰρήνη») سلام مع الله والإنسان – السلام النهائي والتام الذي يتم الحصول عليه في السماء فقط. أضاف بولس قائلاً: ... «الْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ الْيُونَانِيِّ» (الآية ١٠). لأنه قال: «لأَنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ» (الآية ١١).

كانت لجون آر دبليو ستوت نظيرة مثيرة للانتباه عن السبب الذي تقول عنه النصوص المقدسة اننا سنُدان حسب أعمالنا:

> سيكون يوم الدينونة مناسبة عامة ...
> مثل هذه المناسبة العامة التي سيتم فيها النطق بالحكم علانياً يتطلب دليل عام يمكن إثباته ليدعمه. والدليل العام الوحيد الذي سيكون هناك هو أعمالنا، ما قد عقمنا به.

سواء كنا نوافق مع سيناريو ستوت، قد نوافق على انه ليس هناك أسس عادلة للحكم من الحكم علينا على أساس بأعمالنا. سوف لا أدان بأعمالك، ولن يتم إدانتك بأعمالي؛ سيتم إدانه كل شخص بحسب ما قد عمله. لا يمكن دحض الإثبات، وسيكون النطق بالحكم عادل.

ستكون الدينونة بلا محاباة (٢: ١٢-١٥)

انتهى القسم السابق بالآية ١١: «لأَنْ لَيْسَ عِنْدَ الله مُحَابَاةٌ». كلمة «محاباة» هنا مترجمة من كلمة يونانية («προσωπολημψία» مركبة من كلمتي «πρόσωπον» ومعناها «وجه» و«λαμβάνω» ومعناها «يقبل». أي «يقبل الوجوه» – التعامل مع البعض حسب المظهر الخارجي. نحن كالبشر نميل إلى قبول بعض الناس ورفض الآخرين «على أساس المظهر الخارجي». نحن نتعامل عادة بالمحاباة، نتعامل بقسوة مع البعض وبلطف مع الأخرين. ولكن ليس لله المحاباة (راجع تثنية ١٠: ١٧؛ أخبار الأيام الثاني ١٩: ٧؛ أعمال ١٠: ٣٤ و٣٥). (احتفظ بهذه الفكرة إلى حين دراستنا للأصحاح ١١ من الرسالة إلى أهل رومية. يؤمن البعض أن رومية ١١: ٢٦ تعلم أن الله سيخلص جميع اليهود في يوم ما. إذا كان الحال هكذا، فيجب لله أيضاً أن يخلص جميع الأمم – لأنه يتعامل مع الجمع على قدم المساواة![٧]).

وصف بولس عدم محاباة في الآيات التالية بالكيفية التي تعامل بها مع اليهود والأمم. كان بولس يقصد بصفة خاصة تعاملات الله مع اليهود والأمم قبل مجيء المسيح.

سيدان الأمم واليهود كلاهما (الآيتان ١٢ و١٣)

تبدأ الآية ١٢ هكذا: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ بِدُونِ النَّامُوسِ فَبِدُونِ النَّامُوسِ يَهْلِكُ ...». هذه أول مرة يستخدم فيه بولس كلمة «ناموس» («νόμος» «نوموس») والتي لها مكان مرموق في هذه الرسالة. قد تكون لكلمة «νόμος نوموس» عدة معاني[٨]، ولكنها تشير هنا إلى شريعة موسى. تشير العبارة «لأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ بِدُونِ النَّامُوسِ ...» (آية ١٢) إلى الأمم الذين لم يكن لديهم «شريعة الله المكتوبة». قال بولس عن هؤلاء انهم بدون الناموس يهلكون (آية ١٢).

قال بولس بخصوص اليهود الذين كان لديهم ناموس موسى: «... وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ فِي النَّامُوسِ فَبِالنَّامُوسِ يُدَانُ» (آية ١٢). استمر قائلا: «لأَنْ لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ الله، بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ» (آية ١٣). كان معظم الناس يتعلمون الناموس عند سماعهم لقرائته في مجامعهم كل سبت (راجع أعمال ١٣: ١٥). ولكن شدد بولس على أن الاستماع إلى الناموس لا يفي بالغرض، يجب للشخص أن يعمل بالناموس (قارن مع يعقوب ١: ٢٢-٢٥).

سأُدان بعدل (الآيتان ١٤ و١٥)

قد يعترض البعض ويعقولون: «انه من العدل أن يدين الله اليهود الذين كان لديهم ناموس مكتوب، ولكن ليس من العدل أن يدين الأمم الذين لم يكن لديهم ناموس». كانت إجابة بولس هي أن للأمم ناموس، كما ذكرنا في الدرس الذي بعنوان «الأمم والضمير والعمل الإرسالي». لم يكن لهم ناموس مكتوب على لوحي حجر، بل كان لهم ناموس مكتوب في قلوبهم (الآيتان ١٤ و١٥[٩]).

كان هدف بولس هو أن يبين انه ليس هناك أحد، يهودي كان أم أممي عاش على مستوى المعيار الذي كان لديه. إذن كان الجميع في حاجة إلى بر الله. ولكني الآن أريد أن أضع التوكيد على أن الله كان عادلاً حقاً». ليست لله المحاباة (٢: ١١).

الدينونة أمر محتوم (٢: ١٦)

تختتم الآية ١٦ فكرة بولس عن الدينونة. يظن البعض انه يجب قراءة هذه الآية مع آية ١٢ بينما يعتقد أخرون انها تتبع آية ١٣ بطريقة طبيعية. تتناسب هذه الآية خلاصة هذا الحوار. تحدث بولس عن «... الْيَوْمِ

---

[٧] قال باركلي عبارة يمكن فهمها في الكثير من أرجاء العالم: «ليس هناك فقرة في تدبير الله عن أمة مفضلة» (وليم باركلي في تفسيره بعنوان «The Letter to the Romans» الطبعة الجديدة من سلسلة «The Daily Study Bible Series»، صفحة ٤٣.

[٨] سندرس كلمة «نوموس» (أي «ناموس») عند دراستنا للأصحاح ٣.

[٩] راجع تفسيرنا لهاتين الآيتين في الدرس الذي بعنوان «الأمم والضمير والعمل الإرسالي»، صفحات ١٠-١٦.

الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي[10] بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (آية ١٦).

مُقَيِّم معصوم

الآية ١٦ هي آية قصيرة، ولكنها تحتوي على مفاجآت لكثير من الناس. على سبيل المثال، قد يدهش البعض عندما يعرفوا من الذي سيدين: «يدين الله ... بيسوع المسيح».

اعتاد يسوع أن يقول خلال خدمته التبشيرية أن الله سلم له الدينونة (يوحنا ٥: ٢٢؛ راجع متى ٧: ٢١-٢٣؛ ٢٥: ٣١-٣٣). قال بطرس لكرنيليوس أن الله قد عَيَّن «يسوع دَيَّانًا لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ» (أعمال ١٠: ٤٢). قال بولس في خطابه على بجل مارس أن الله قد «أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُل قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (أعمال ١٧: ٣١).

عندما يفكر الكثيرون بيسوع، يعتبرونه إنسان رائع ومعلم مقتدر ومخلص- ولكن لا يفكرون به كديان. «ولا نتصور المسيح كديان على الأرض، وهذا يشكل سوء فهم خطير عن الشخصية الحقيقية للمخلص».

إثبات تجَرِّبم

سيدهش البعض أيضاً بسبب ما سيُكْشَف عنه في ذلك اليوم: «يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ». الكلمة المترجمة هنا إلى «سرائر» («κρυπτὰ كروبتا») معناها الأشياء الخفية أو السرية. وتشير إلى أي شيء لا يعرفه الآخرون: أفكارنا ودوافعنا، والكلمات التي لم تُسْمَع، والأشياء التي عُمِلَت في الخفاء وبطريقة سرية. قال يسوع انه ليس هناك «مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ، وَلاَ خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ» (لوقا ١٢: ٢؛ راجع جامعة ١٢: ١٤).

توجد في حياة كل شخص أشياء يعتقد انها غير معروفة للآخرين. على سبيل المثال[11]، إنسان يقود بسرعة أكثر من السرعة القانونية أو لا يقف عند الضوء الأحمر. ينظر حوله - ولم يرى هناك رجل شرطة. يتنفس الصعداء، ويقول في نفسه: «لم يراني أحد!» تصحيح: لم يراه أحد، ولكن الله يكون قد رآه. يعرف الرب كل شيء ويرى كل شيء (راجع صموئيل الأول ١٦: ٧؛ مزمور ١٣٩: ١-٤؛ إرميا ١٧: ١٠؛ لوقا ١٦: ١٥؛ يوحنا ٢: ٢٥؛ عبرانيين ٤: ١٢ و١٣) - سيتم الكشف عن كل شيء في اليوم الأخير! سيعرفه جيرانك وأصدقائك وأسرتك. وسيتم الكشف عن كل خطيئة لم يغطيها دم المسيح (متى ٢٦: ٢٨؛ ١ يوحنا ١: ٧). يا للخزي! ويا للدمار!

حدث لا يمكن تجنبه

يحتوي رومية ٢: ١٦ على مفاجآت، مثل حقيقة أن قصة الدينونة هي جزء مكمل للإنجيل: «... يَدِينُ اللهُ ... النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ». لكي نقدر مجد البشارة خير تقدير، علينا أن نراه مقارنة بالدينونة المظلمة.

ولكن ستكون المفاجأة الكبرى بالنسبة لكثيرين عندما يكتشفون انه في يوم الدينونة: «يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ». تأتي بنا الآية ١٦ إلى الحقيقة التي كنا قد بدأنا بها. لَن ينجو أحد من الدينونة.

لا يريد البعض التفكير حتى باحتمال وجود الدينونة. وللآخرين رجاء مبهم بانه مهما يمكن في الحياة بعد الموت، «سيكون الكل على ما يرام». وآخرون مقتنعين أنه لن يكون هناك يوم دينونة، «لأن الإله المحب لا يرسل إلى جهنم أحداً». سُئل الشكوكي الفرنسي فولتير لماذا لا يهمه مواجهة الله في يومٍ ما. قال: «سيغفر الله». وعندما سُئل كيف يكون واثقاً من ذلك إلى هذا الحد، أجاب: «لأن هذا عمله»[12]. كم تكون هناك مفاجآت لكثيرين عندما يقفون أمام الرب، ويذهب قليلون فقط إلى السماء، ويرسل كثيرين إلى جهنم (راجع متى ٧: ١٣ و١٤؛ ٢٥: ٣١-٣٤، ٤١، ٤٦).

---

[10] كلمة «إنجيلي» هي كلمة غير عادية. ربما قصد بولس انه بعد ما أعطاه الرب الإنجيل جعله بمفهوم ما إنجيله.

[11] قدم أمثلة معروفة لدى مستمعيك.

[12] نسبت هذه المقولة أيضاً إلى الفيلسوف الألماني هايني هاينريتش (١٧٩٧-١٨٥٦).

الخلاصة

رأينا في درسنا هذا أن يوم الدينونة لا يمكن تجنبه، وأن قرار الله لا يكون فيه جدل، والرب لا يتعامل بالمحاباة» والدينونة أمر محتوم. أسألك مرة أخرى: «هل أنت مستعد لذلك اليوم؟» إذا تأملت في هذا السؤال بجدية قد تدرك أن حياتك لم تبلغ بعد كل ما ينبغي لها أن تكون، وبانك في حاجة إلى نعمة الله ورحمته. إذا أدركت هذا لا تنتظر إلى يوم آخر قبل أن تسرع إلى يدي اله المحبة.

عندما حاصر الإسكندر الكبير مدينة ما ذات مرة، نصب مصباحاً كبيراً. وكان يشتعل ليلاً ونهاراً كعلامة للمحاصرين. وأرسل خبر إلى الناس في تلك المدينة انه طالما كان المصباح مشتعلاً، كان لديهم الوقت لتسليم أنفسهم، ولكن حالما ينطفيء المصباح سيتم تدمير المدينة بكل ما فيها بلا رحمة. نور تحمل الله وصبره يضيء اليوم معطياً لك وقتاً لكي تأتي إليه. سينطفيء هذا النور في يوم ما، ربما قريباً، عندئذ سيكون الوقت قد فاتك. ليقودك صلاح الله إلى التوبة – اليوم!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩